

كتاب الواضح في علم العربية

لابن بكر محمد بن الحسن الزيبي المتنوفي سنة 379 هـ

تحقيق الدكتور أمين على السيد

كلية دار العلوم - هامامة القاهرة

« وائل ما يعزى من التحو كتب الواضح للزبيدي »
ابن حزم

« كان في النية نشر هذا الكتاب الترافق تلهم في هذا العدد من اللسان المصري » غيره أن شقيقه
النطاق وونفراة المواد اللغوية ذات الطابع المعاصر قد حال دون ذلك . وهو على كل حال اجتنب بلنطبع
كتابا على حدة من أن ينشر مجزءا في مجلة . ومن أن تتضمن بعض الدول العربية العاملة على بعث التراث
العربي المجيد ، بطبعه على نفقة لجنة الاستئذان منه ؛ ونكتفي الآن بنشر هذا (التعريف) بالكتاب تنويعا
باهميته » .

بيان أحكام الوقت وأحواله ، ولم يتنا المؤلف أن
يخلو كتابه هذا من الحديث عن التواري في
الاتشاد والحداء ومن الرسم والمجاء في بنات
النوا و الباء .

وبالاختصار لقد أوجزا فيه صاحبه كائنة
الأصول التي يحتاج إليها الناشئة من طلاب
العربية لتقويم الألسنة ، في عبارة علمية رصينة
سملة المأخذ .

وهو نمط فريد في بابه لا يستثنى من الاطلاع
عليه المتخصص في دراسة اللغة العربية اذ يجد
فيه شيئا من ضروب التأليف في أصول اللغة
العربية يقتضي به ، الى جانب أنه يمثل مرحلة
تاريخية من مراحل التأليف في علم النحو يتبين
التعريف بها والأهمية منها لدى المتخصصين في
الدراسات العربية على وجه العموم . لكم هي
مرحلة تأليف المختصرات النحوية .

وان نشر هذا العمل سيحدث تأثيرا بالغا
في الأوساط التي تهتم بالدراسات العربية في
أسبانيا ، ذلك أن فيه تغيير لحقيقة تكاد تكون
مستقرة في الذهان ، وفي هذا التغيير ما فيه من

تعريف بالكتاب

كتاب الواضح في علم العربية لابن بكر
الزبيدي المتنوفي عام تسمة وسبعين وثلاثمائة
مجربة من التراث العربي الذي لم يسبق نشره
حتى الان ، والذي تتسوق نفس كل عربي إلى
الاطلاع عليه ، والتعرف على ما احتواه من أصول «
وتروجو النقلب على كل ما يقت في طريق نشره من
عيوب قد توقع ظهوره أو تتجلى إنجلزه » .

ونذلك لانه المؤلف الاندلسي الاول في النحو
العربى ، الذى وصل اليها عبر اكثر من ألف عام ،
والذى قال عنه فقيه الاندلس وفينسوهما الملامة
ابن حزم الظاهري : « وائل ما يجزء من النحو
كتاب الواضح للزبيدي » .

ثم لأن صاحبه قد جمع فيه إطاراً النحو
ووسائل أبوابه ، دون اغراق في الخلاف ، او تبع
للتعميل ، ولم ينبع بالتصريف وما يتعلمه به
من مختلف الباحث ، وأوجز في براعة خلاصة
الدراسات اللغوية التي احتوت على بيان شائعات
لخارج الحروف . وايضاح كاف لمسانها وأدغام
بعضها في بعض ، وما قد يعرض فيها من املأة مع

سيجد القارئ أيامه البرهان القاطع على أن هذه المخطوطة التي تقسم بين تراثنا في مكتبة الاسكوربالي بمدريد ليس فيها من كتاب الواضح للزبيدي الذي تحذف منه المراجع ، ورفع العلماء ذكره — ليس فيها إلا جزء قليل منه ، وأن سائر ما وضع تحت هذا العنوان وادع في خزائن الاسكوربالي هو أجزاء متفرقة من شروح الجمل للزجاجي ، ومن يسير التعرف عليه بعرضه على الشروح الكثيرة التي ترخر بها المكتبات في أنحاء العالم ، وذلك عندما تتجه النيمة إلى دراسة شروح الجمل في المستقبل إن شاء الله .

ولقد بذلك ما بذلك في سبيل الحصول على مصورة الاسكوربالي هذه ، ظناً منها أنها النسخة الام التي ستكون العمدة عند التحقيق ، ولكن بعد معاودة قرائتها خرجت بحكم قاطع لم يدع للشك مجالاً ، هو أنها ليست كما ظننت ، بل هي أصل ثانوي لنق من أكثر من كتاب ، وفيما سيأتي منحلاً بالمقيدة برهان على ذلك .

وقد كان لكتاب الزبيدي هذا اثره في مجال الدراسات العربية منذ الفه مصاحبه لأن مقالة ابن حزم السابقة عنه دليل على أنه اطلع عليه وعرف قدره ، ووُجِدَ فيه كتابة الطالب فنصح لamacr به ومن يائى بعدهم باخذه أساساً تقويم عليه دراسات أخرى أكثر منه توسيعاً واستيعاباً .

وكذلك فيما نقلته لنا بكتب الطبقات من أن ابن الأسلم قد شرح كتاب الواضح للزبيدي — دليل على أنه كان محظوظاً أنصار العلامة من بعد مصاحبه .

وكتير من العلماء يسلّمون بأن الاتجاهات التحوية في الاندلس تمثل أحدى مدارس التحوّل المشهورة ، ولما كتبت — فيما أعلم — أول من أورد بحثاً كبيراً عن « الاتجاهات التحوية في الاندلس وأثرها في تطوير التحوّل » حصلت به على درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم عام 1964 ، وكانت على صلة وثيقة بهذا التراث العلمني المظيم الذي خلقه علماؤنا في الاندلس في مجال الدراسات التحوية — كان على ما على الملتزمين من تجليّة هذه الجوانب وزارحة الاستمار والحجب عن بعض ما وقعت عليه في اتساع بحثي ، وتساء بحق هؤلاء العلماء ، واداء للأمانة العلمية ، وتعبيها للنفع بهذه الآثار القديمة . وقد وجهت بعض طلاب الدراسات العليا إلى هذا التراث العظيم ،

الخطورة بالنسبة للتعرّف على المخطوطات ، وتوثيق ملاتها ب أصحابها .

من القرائن المرجحة عند المحتقين أن موطن المؤلف إذا ارتبط بالمكان الذي توجد مخطوطة فيه كان دليلاً يقوى الثقة فيها ويدعوها إلى أن نعتمد عليها ونؤكّد نسبتها إلى أصحابها .

لكن الذي ثبت بالفعل غير منجاوب مع هذه القرينة ، لأن نسخة كتاب الواضح لابن بكر الزبيدي ، الذي كتب عنها في مهرس الاسكوربالي بالجزء الثاني منه من 116 ، 116 ما نصّه : « الواضح في التحوّل : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي . هذا كتاب منسوخ من كتاب الواضح في التحوّل . باب أقسام الكلام . اقسام الكلام كالم ثلاثة : اسم و فعل و حرف جاء لمعنى . فالاسم قوله : رجل و فرس و حمار و زيد و عمرو وما أشبه ذلك . وعدد منحاته (224) في كل منحة (19) سطرًا .

هذه النسخة ليست الأصل الأول لهذا الكتاب ، وإنما هي نسخة ثانوية ليست مطابقة للنسخة التي صورت من المكتبة المتوكية بالجامع الكبير بصنعاء وقد حفظت هناك تحت رقم (171) ويدار الكتاب المصري صورة منها تحت رقم (220) ميكروفيلم .

ويكاد يوْقَنُ كل من لم تستعمله القروون بالاطلاع على هذا ، بأن الكتاب المذكور في مهرس الاسكوربالي هو النسخة الام ، التي يجب أن تكون عماد التحقيق ، لاحتياط أن تكون بخط المؤلف أو بخط أحد تلاميذه أو أنها قرئت عليه في حياته أو قرئت على أحد تلاميذه من بعده . وهذا الاعتقاد مبني على وجودها في مدرية المدينة الكبرى في أسبانيا ، الدولة التي عاش فيها ماجوس هذا الكتاب منذ ولد إلى أن توفي ، لم يخرج منها طلباً للعلم ، ولم يرحل عنها سعياً وراء الرزق ، ولم يغادرها لسبب من الأسباب الأخرى كالحج والزيارة والتجارة وغيرها . لذا ولذا بها وتتممّ فيها على أبيه وعلى غيره من أعلام العصر ، وجلس في حلته ابن على القال حين وند إلى الاندلس كأحد تلاميذه ، وهو أمام مرموق ، وبهذا منف ما ترك لنا من الآثار النافعة التي تكل منها ياتوت في ترجمته : « وبلّغنى أن أهل الغرب كانوا يتنالسون في كتبه » . وبعد دراسته مقدمي الآية والتعمّن فيها

المن ، وجمل الكاتب ، وكثرة الاستقطاب ، وشيوخ الخلط بين الموضوعات ، هذا كله بالاضافة الى ما فيها من التصحيح والتحرير والاخطااط المنشومة التي ينكرها كل من اتيحت له فرصة الاطلاع عليها ، والى جانب ما تقدم خلت مفتحتها الاولى تماما من عنوان الكتاب واسم المؤلف واسم الناشر واسم المكتبة التي يودع بها ، كما خلت صفحاته الاخيرة من كل ذلك ، وخلا الكتاب كله من خطوط العلماء وتصححياتهم على كثرة ما فيه من الاخطاء التي جاء بيان بعضها في مقدمة التحقيق .

ومن اجل هذا نضلل العنوان المدون على بطانية مصورة اثنين وهو : كتاب الواضح في علم العربية .

ما تقدم يتضح ان تحقيق هذا الكتاب لم يكن امرا ميسرا ، لما تغير عندي بعد الاطلاع على مصورة مدريد وبمد عرقتي قيمتها من الناحية الموضوعية الصرفة ، فقد سثار العمل في التحقيق بمد ذلك على هدى مصورة اليمن ، مستائسا بالاجزاء القليلة التي وجدت من هذا الكتاب في مصورة مدريد .

وقد تقدمت بهذا التحقيق لكي ينشر عن طريق مكتب تنسيق التعریف بالغرب في 28/9/1972 وتأتیت رد مديره مؤخرا في 15 نوفمبر سنة 1972 بوصول هذا الكتاب اليهم ولكن ... الذي اود ان ابيته هنا يتلخص في ان تاريخ صلتي بهذا الكتاب يرجع الى عام 1960 عندما قمت بنسخه من دار الكتب بالقاهرة من الميكروفيلم رقم (220) ضمن المادة العلمية التي كانت اجمعها لرسالة الدكتوراه وقد عرفت حينذاك ان هذه الصورة قد نقصت منها اللوحة رقم (138) وهي تشمل متحفتين من منحات الاصل في « باب التغير » وقد حصلت على هذه اللوحة في نفس العام الذي حصلت فيه على مصورة مدريد في العام الجامعي (68 - 1969) . وكان هذا بعد محاولات بدأتها في عام (1962) وكانت تحدوني فيها الرغبة الصادقة ، وكانت السبب على طرق ابواب كبيرة ، متذمرا بالصبر وطول الاتاوة لتحقيق هذه الرغبة ، منذ ان حسن وقع الكتاب في نفس يده نسخه .

وكانت حمولة العمل موجزة فيما يأتي : تمت القراءة الاولى في 14/5/1967 ثم نظرت في آخر اسالى الخلافية في 17/6/1967 ، وتبت

مقام احدهم بشرح المقدمة الجزولية ودراسة مذهب ابن موسى الجوزولي في النحو ، وقد أجبت هذا البحث من قسم النحو والصرف والمعروض بكلية دار المعلوم للحصول على درجة الماجستير باشرافى . وقد سبقه طالب آخر نجح عن ابن على الشلوبين ومذهب في النحو باشراف الاستاذ عبد السلام هارون وثالث حقق كتاب التوطئة لابي على الشلوبين باشراف الاستاذ الدكتور تمام حسان ، وهناك بحث يوشك صاحبه ان ينتهي من اعداده عنوانه : خصائص المذهب النحوي الاندلسي في القرنين السادس والسابع المجريين باشرافى .

ولعل هذا الكتاب يفتح لنا نافذة نطل منها على عالم الدراسات النحوية في الاندلس ليكون نشره فاتحة خير توجه الباحثين والمحققين الى جمهرة التراث النحوي الاندلسي وتبعد نسبهم الرغبة الصادقة من اجل تحقيق الكبير منتراث مؤلأ النحاة الذين لا يتلون عن امثالهم من نحاة الشرق ، وقد عرفت بكثير من هذا التراث في بحث المشار اليه آنفا .

وقد أثبتت من هذا الكتاب اكمال النصوص واوفاها ، دون زيادة فيها او حذف منها ، ولم اغير في النص الا بما اتفقنيه الفسورة الملحقة ، او ارتضاه المعنى الصحيح وكان متبعنا عند النظرية الاولى ، وقد نبهت على ذلك في موضعه .

واعتبرت نسخة اليمن اعلى النصوص لأنها هي المخطوطة التي وصلت اليها حاملة عنوان الكتاب ، واسم المؤلف واسم الناشر وأسم المكتبة التي تنتهي وجميع مادة الكتاب على الصورة التي تتفق واسلوب المؤلف وطريقته التي عرفت عنه في كتبه الأخرى ، وما نعمت به الكتاب من انه اتسل ما يجزئه من النحو .

واعتبرتها كذلك لأن عليها خطوط علماء وتصححات بالمواضيع اشارت الى ما ظهر منها في مواضعها ، هذا كله بالاضافة الى ما تتصف به من صحة المتن ودقّة الكاتب وقلة الاستقطاب مما يبعث في النفس الثقة بها والاطمئنان اليها .

وقد تركت بعض ما دون على الورقين الاولى والأخيرة من مصورة اليمن ليراها المتأمل فيها رأى العين . وجعلت مصورة مترتبة اصلا ثانيا لاتهيا نسخة ملقة ؟ تذبذب بقيمتها ما فيها من اعتلال

هذا الكتاب محتوا باشارة الاستاذ الدكتور طه عبد الحميد طه ، وحصلت به الطالبة السورية مني الياس على درجة الدكتوراه في ميدان مام 1973 . وقد اخبرني الاستاذ الشريف بأنها لم تعمم الا على مقتوية مني ، ثم سللت من اللوحة رقم (138) التي سقطت من الميكروفون الموعظ بدار الكتب بالقاهرة ، فأنا جاكي بأنها سقطة من النسخة المحتلة ايضا ، وأن الطالبة قد نبهت الى ذلك ، دون محاولة منها لاكتمال هذا التنصع .

وانى لدراج ان يكون لهذا العمل العلمي من القدر مثل ما يذلل فيه من العهد والله ولى التوفيق .

تحريدا في :

غرفة جنادى الاولى 1394 هـ

23 من مايو 1974 مـ

القراءة الثالثة في 13/11/1967 ، وتمت القراءة الرابعة في 1/1/1969 ، وحضرت بصورة مدربة في 5/5/1969 ، وبعد ان تم تكبيرها قرئت ثلاث مرات ، ثم رتبت ورثت الى اصلها ترتيبا في 27/5/1969 ، وهي 19 شعبان 1389 هـ - 30/10/1969 مـ ارسلت لي من بين اللوحات الناتمة المرفقة سورتها بهذا ، ثم : تمت القراءة الخامسة في 10/8/1970 ، وتمت القراءة السادسة في 3/5/1971 ، وتمت القراءة السابعة في 31/8/1971 ، وجاء التحقيق بعد اختصار كثير مما امتدته له كما اشار بذلك العالى الجليلان : الاستاذ على الجندي والاستاذ عبد السلام هسaron - على ما سباقني توضيحه في المقدمة .

هذا وقد خلت للنسخة المتنية لمكتب تنسيق التعریب بال المغرب الاتصال من هذا التعریف .
وقد اجازت كلية الاداب بجامعة عين شمس